المحور الثاني: العلاقات الدولية من اتفاقية فيينا 1815 إلى الحرب العالمية الأولى:

مؤتمر فيينا (13 سبتمبر 1814-9 جوان 1815):

مقدمة:

بعقد الصلح مع فرنسا في معاهدة باريس الأولى انتهت الحروب التي بدأت في أوروبا في عهد الثورة الفرنسية، ثم استمرت في عهد الإمبراطورية النابليونية وأصبح من الضروري عقد مؤتمر للتباحث في شؤون أوروبا العامة وتسوية المشكلات التي نجمت عن هذه الحروب الطويلة. ووقع الاختيار على فيينا لتكون مقرا لهذا المؤتمر لأنها مدينة أوروبية عظيمة، وعاصمة لدولة من الدول الكبرى التي انتصرت في الحرب، ولأن حكومتها حكومة الإمبراطورية النمساوية.

وهكذا فالمؤتمر لم ينعقد لإبرام الصلح لأن الحرب كانت منتهية فعلا وقانونا بين فرنسا وبين الدول المتحالفة، وفي استطاعة فرنسا كذلك عند انعقاد المؤتمر أن تطلب الانضمام إلى الأسرة الدولية .

ولم يكن الغرض من عقد المؤتمر إعادة تنظيم شؤون أوروبا على قواعد جديدة، باعتبار أن النظام الأوروبي قد انهار فعلا من أمامه نتيجة لحروب الثورة ونابليون خلال العشرين سنة الماضية، ولكن الذي حدث أن السياسيين الذين اجتمعوا في هذا المؤتمر اعتقدوا على العكس من ذلك أن النظام القديم بالصورة التي عرفها القرن ال 18، أي احترام السلطات الحكومية وتمجيد التقاليد والمحافظة على التوازن الدولي، هو خير نظام وجد ليضمن للشعوب حرياتها، وليحقق سيادة القانون.

أعضاء المؤتمر:

تكون المؤتمر من الدول التي وقعت معاهدة باريس الأولى، وكانت 7 هي: بريطانيا، روسيا، النمسا، بروسيا، السويد، إسبانيا والبرتغال. ولكثرة العدد انحصر النشاط -بموجب اتفاق بين الدول الكبرى-بين أربع دول هي: بريطانيا، بروسيا، النمسا وروسيا، تألف منها ما يعرف باسم "لجنة الأربعة."

انضمت فرنسا إلى اللجنة بفضل تاليران (وزير خارجية فرنسا وممثل الملك لويس الثامن عشر) ومهارته السياسية، وعليه أصبحت "لجنة خماسية" والتي اعتبرت المؤتمر فعلا، حيث استأثرت وحدها ببحث المشكلات والمسائل الهامة، وباتخاذ القرارات الحاسمة بشأنها. وعندما انتهى مؤتمر فيينا من أعماله انضمت ثلاث دول أخرى(السويد، إسبانيا والبرتغال) في التوقيع على وثيقة أو قرار المؤتمر النهائي في 9 جوان 1815.

إلى جانب اللجنة الخماسية أنشأ المؤتمر عددا من اللجان الأخرى لدراسة الموضوعات التفصيلية وإعداد البيانات اللازمة:

•لجنة الثمانية: وقعت على القرار النهائي في 9 جوان 1815 واهتمت بدراسة موضوع تجارة الرقيق ومسألة الاتحاد السويسري.

•اللجنة الألمانية: بحث شؤون ألمانيا ووضع دستور لها.

•لجنة الإحصاءات: اهتمت بتعداد السكان في الأراضي التي يراد استبدالها أو إعطاؤها كتعويض كجزء من التسويات التي يتفق عليها المؤتمر.

موضوع المؤتمر:

تناول تسع مسائل تتعلق ب: بولندا وساكسونيا-حدود الراين وبلجيكا وهولندا-الدانمارك والسويد -سويسرا وايطاليا - الاتحاد الألماني-الأنهار الدولية-تجارة الرقيق.

بلغت الخلافات في فيينا في بداية 1815 درجة خطيرة دفعت فرنسا والنمسا وإنجلترا إلى تكوين حلف دفاعي لمقاومة مطالب روسيا وبروسيا في 2 جانفي1815، ما دفع ألكسندر(روسيا) إلى التنازل في بعض النقاط وحذت حذوه بروسيا .

عودة نابليون:

كانت جميع الأمور قد سويت عندما فوجئ العالم بأنباء انطلاق نابليون من أسره في ألبا، وفرار لويس الثامن عشر واستقبال فرنسا من جديد لنابليون، ولذلك انزعج المندوبون وبادروا بتسريع القرار النهائي الذي وقع قبل معركة واترلو والذي تضمن تسوية المسائل التسعة المذكورة آنفا.

قامت تسوية فيينا على أساسيين هما: توازن القوى والتعويضات (قاعدتا الدبلوماسية الأوروبية في القرن الثامن عشر).

•أعاد السياسيون فرنسا إلى ما كانت عليه قبل حروبها الأخيرة كي يعيدوا التوازن الدولي في أوروبا.

•اتبعوا خطة تعويض الدول التي أخذت منها أراضيها لإعطائها إلى دولة أخرى

•إرجاع الأسر القديمة إلى الحكم في الدول التي نحى نابليون أصحابها عن عروشهم باستثناء الأسر التي كان يسوؤه رجوعها أو التي أراد توزيع أملاكها في شكل تعويضات تعطى للدول التي تولى المؤتمر التصرف في أملاكها .

•أضاف المؤتمر إلى قاعدتي توازن القوى والتعويضات اعتبار آخر وهو ضرورة الاطمئنان لعدم تكدير السلام من ناحية فرنسا في المستقبل وذلك بإحاطة مدن فرنسا بحلقة من الدول القوية لمنعها(فرنسا) من استئناف الاعتداء فضموا بلجيكا إلى هولندا وأعطوا الأراضي الواقعة على ضفة الراين اليسرى إلى ألمانيا بينما دعموا استقلال سويسرا بعد أن ضمنوا حيادها ثم أعطوا سافوي إلى بيدمونت لتقوية الحدود الشرقية الجنوبية بالنسبة لفرنسا .

مبدأ توازن القوى:

كان أساس النظام الجديد طبقا لتسوية فيينا إنشاء توازن القوى بين الدولتين الغربيتين(إنجلترا وفرنسا) في جانب، والدول الشرقية الثلاثة(روسيا وبروسيا والنمسا) في جانب آخر، ولم تكن واحدة من بين هذه الدول العظمى قوية بالدرجة التي تعطيها السيطرة بمفردها على شؤون أوروبا.

على أية حال تتكون معاهدة فيينا من عدة أقسام رئيسية:

-مبدأ إرجاع الحقوق الشرعية لأصحابها أي تحقيق التوازن الدولي الموجود في ذلك الوقت، باستثناء روسيا التي خرجت بحصة الأسد نتيجة تشددها وجيشها البالغ مليون جندي حيث اضطرت كل من إنجلترا والنمسا مرغمتين على منحها ولاية وارسو الكبيرة مما سيتيح لروسيا التفوق في أوروبا وبالتالي إخلال بالتوازن الدولي مستقبلا(في نظر كل من إنجلترا والنمسا.(

-قبلت بروسيا بضم نصف ساكسونيا ومقاطعة الراين فقط بعد معارضة النمسا وإنجلترا مطالبها في ضم إقليم ساكسونيا بأكمله خشية تضخم حجم بروسيا وبالتالي اختلال التوازن الدولي.

-أما الولايات الألمانية التي اجتاحتها قوات نابليون وأقامت فيها نوعا من الوحدة، فقد تمت تسوية أوضاعها السياسية طبقا لمشيئة الدولتين الألمانيتين الكبيرتين(النمسا وبروسيا)

وقد أجاز المؤتمر استيلاء دول الحلف على العديد من الأقطار المغلوبة، فاحتفظت بريطانيا بعدد من المستعمرات التي استولت عليها خلال الحرب، فيما احتفظت روسيا بفنلندا وصربيا ومعظم بولندا، وأعادت النمسا وبروسيا سيطرتهما على الجزء المتبقي من بولندا.

وقد انتقد المؤرخون مؤتمر فيينا بشدة بسبب تجاهله للشعور القومي والديمقراطي القوي لمعظم شعوب أوروبا، ذلك الحس الذي ساهم في اندلاع الثورات المنادية بالديمقراطية في العديد من الدول الأوروبية في الفترة من 1830 - 1848، كما ساهم في قيام الحركات القومية في ألمانيا وإيطاليا .

ورغم ذلك، أثنى بعض مؤرخي القرن العشرين على مؤتمر فيينا لإيجاده توازنًا قويًا في أوروبا وعدم معاملته فرنسا المنهزمة بقسوة.

مرحلة التحالف الأوربي 1815-1914:

خصائص مرحلة التحالف الأوربي:

يذهب كثير من المحللين السياسيين إلى أنّ مرحلة التحالف تميزت بعده خصائص أهمها:

1. تراجع الفلسفة والدين أمام العقل من خلال ثورة فكرية على مجموعة من المعتقدات والأفكار الفلسفية والدينية التي كانت سائدة، قادها مجموعة كبرى من المفكرين الاجتماعيين مثل دركايم، جون لوك وكارل ماركس.

2. إعادة بعث ما يسمى بمبدأ توازن القوى لأنّ معظم الدول التي خرجت من الحرب النابليونية رأت من الضروري إيجاد إطار معين تحدد فيه العلاقات بين الدول الأوروبية وهذا الإطار يسمى بالوفاق الأوربي الذي يقوم على مبدأين هما: المصلحة المشتركة وتوافق الآراء.

لكن إذا نظرنا إلى الواقع فإنّ هذا الوفاق الأوروبي كان يقوم على فرضيات أكثر منها على الواقع، لأنّه في الحقيقة لم تكن هنالك توافق في الآراء بين دول التحالف، كذلك أنّ المصلحة المشتركة لم تكن موجودة وإن وجدت فهي في كثير من الأحيان متناقضة، لأنّ مؤتمري مؤتمر فيينا يفترضون أسس الوفاق في النية والاستعداد للخضوع لأحكام القانون الدولي والمعاهدات التي تنشئ هذا القانون.

3. أن اتفاقية فيينا 1815 ترتبت مجموعة من النتائج تتعلق بوضع علاقات وترتيبات جديدة تخص القانون الدولي خاصة جعل الملاحة حرة في الأنهار الدولية ووضع ترتيبات للمبعوثين السياسيين السفراء وتحريم تجارة الرقيق.

لقد تأثر مؤتمر فيينا بأفكار المدرسة الاقتصادية لآدم سميث الذي يؤكد أنّ بقاء الدول الفيزيولوجي هو أولى الأولويات، وعندما يضمن الوحدة الوطنية من أي هجوم داخلي أو خارجي فإنّ مسألة التحسن الاقتصادي الدولي بالنسبة إلى الدولة يصبح ضروريا بمعنى أنّ الدولة أو الدول وحكامها ينشدون القوى ليس لذاتها وإنّما كوسيلة للحصول على الثروة وفي هذا الصدد يؤكد "ستواررت ميل" المفكر الاقتصادي بأنّ التجارة الدولية الحرة سوق ينشئ تعاون بين الدول وبالتالي فإنّ الحرب لن تكون ذات فائدة بالنسبة لكل الجوانب. بينما أفكار "سميث" و"ستوارت ميل" لم تجد تجسيدا في الميدان، بحيث أصبحت الدول تستند إلى القوة كغاية في حد ذاته وليس كوسيلة فقط، كما أنّ الدول لم توسع في علاقاتها بل اكتفت بإقامة علاقات اقتصادية مع مستعمراتها.

ولتعميم التحالف الأوروبي والوفاق والاستقرار للدول المشاركة في هذا التحالف ودعما للأفكار الموضوعية وللتخلص من آثار نتائج الحرب النابليونية، فإنّ مؤتمر فينا قرر استرجاع ألمانيا الألزاس واللورين (منطقتين ألمانيتين احتلتهما فرنسا على يد نابليون) وقسمت ووزعت بعض مناطق الإمبراطورية العثمانية على الدول الأوروبية فظهر توسع إمبريالي استعماري للمناطق خارج أوروبا.

إنّ مرحلة التحالف الأوروبي وفي أكثر من فترة زمنية كانت بداية ظهور مجموعة من التطورات على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للدول،كظهور القوميات في أوروبا في هذه المرحلة: في اليونان 1831 في بلجيكا 1830 في دول البلقان 1850.

أيضا لقد حدث في هذه المرحلة تطور علمي وتكنولوجي(صناعي) في كل المجالات المختلفة وكانت لبريطانيا الهيمنة في المجالات الصناعية حيث أنّه في سنة 1830 كانت تسيطر على 3.5 من الإنتاج العالمي.

وتجدر الإشارة أنّ التحالف الأوروبي الذي استمر حتى 1848 قد انهار نتيجة للاضطرابات التي حدثت في أوروبا نتيجة لحروب وانقسامات، **ومن أهم أسباب هذا الانهيار:**

.1انهيار النظام النقدي وما تبعه من انعكاسات سلبية.

.2إقامة نظم جمهورية في أوروبا خاصة في فرنسا وبزوغ الشعور القومي في النمسا وذلك بإعلان المجر استقلالها عن النمسا وتزايد الثورات سنة 1848 خاصة ظهور وإعلان البيان الشيوعي في روسيا.

.3بلوغ فكرة القومية ذروتها خاصة في ألمانيا وإيطاليا والنمسا.

العلاقات الدولية قبل الحرب العالمية الأولى:

مميزات فترة 1890-1914:

تعتبر الفترة الممتدة ما بين 1890 إلى 1914 أحد الفترات المهمة والمتميزة في مرحلة التحالف وتاريخ العلاقات لدولية ككل **ويرجع ذلك إلى المميزات التالية:**

-النمو المضطرد للاقتصاد الدولي الذي أدى إلى ربط مناطق عديدة في العالم بالنظام التجاري والمالي لأوروبا.

-تراجع التعريفات الجمركية لصالح التجارة الحرة والتنافس الدولي.

-الارتفاع المذهل للإنتاج نتيجة للتطور الصناعي.

-ظهور بعض النزاعات بين الدول الأوروبية حول المستعمرات المتواجدة في كل من إفريقيا وآسيا.

-اندلاع الحرب اليابانية الصينية 1894-1895. وبروز اليابان كقوة مهيمنة على منطقة شرق آسيا

-انقسام القوى السياسية في أوروبا إلى دول عظمى كبريطانيا ودول متوسطة فرنسا وروسيا، ودول صغرى مثل هولندا وبلجيكا.

-ظهور فكرة السياسة العالمية لألمانيا ابتداء من 1890 بعد إبعاد " بسمارك " (زعيم ألمانيا) من الحكم من طرف القيصر " فيوم الثاني."

-بداية سلسلة جديدة من التنافس بين القوى الأوربية المختلفة خاصة ألمانيا وبريطانيا وروسيا وفرنسا وبدرجة أقل إيطاليا هذا في أوروبا. أمّا في آسيا فإنّ اليابان بدأت تطمح للتوسع والسيطرة كأول قوى فاعلة في آسيا. أمّا في أمريكا فظهرت الولايات المتحدة كمهيمن وحيد على القارة الأمريكية.

والملاحظ أنّ هذا التنافس الذي ظهر بأوروبا وآسيا وإفريقيا ارتبط ولأول مرة بأكثر من عامل محرك لتسيير العلاقات الدولية فأصبح العامل الصناعي والتقدم الاقتصادي مواكبا لعامل القوة العسكرية في تحديد مكانة الدول داخل المجتمع الدولي.

-انهيار نظام الوفاق الأوروبي بعد أن أصبح أعضاؤه يتنافسون ولهم الرغبة الكبرى في محاربة بعضهم البعض ونتج عن هذا أنّ بعض من هذه الدول بدت أكثر قوة من ذي قبل كألمانيا مثلا.

-من الجانب الفكري ظهرت في هذه الفترة النظريات العنصرية، الأفكار المناهضة للسامية في كل من ألمانيا 1880 والنمسا 1890 وفرنسا 1890-1906.

-بروز سياسة الأحلاف في أوروبا وأول حلف يمكن الإشارة إليه التحالف الثلاثي بين ألمانيا وإيطاليا والإمبراطورية النمساوية المجرية 1882 على يد " بسمارك "ثمّ أعيد تجديده مرتين في 1902 و1907. ومقابل هذا ظهر التحالف الإنجليزي الياباني 1902 وتحالف فرنسي روسي 1899 .

والوفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا 1904 واتبع بالمعاهدة الإنجليزية الروسية عام 1907 وفي نفس السنة ظهر الوفاق الثلاثي بين بريطانيا وروسيا وفرنسا.

-إنّه أثناء ظهور هذه التحالفات كانت هنالك نزاعات بين الدول المنتسبة إلى مختلف هذه التحالفات كالنزاع الروسي النمساوي حول منطقة البلقان والنزاع الفرنسي الألماني حول المغرب وباستفحال النزاعات بدا وأنّ الدول الأوروبية كانت متجهة أكثر إلى الحرب، خاصة حينما اشتد التنافس بين الدول الاستعمارية للاستحواذ على النفوذ وخيرات الدول المستعمرة(الضعيفة).

هذا التنافس كان على أقصى درجاته ما بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا التي أرادت أن تكون لها مكانة خارج أوروبا وبالتحديد في إفريقيا أين كانت فرنسا وبريطانيا يتقاسمان خيراتها.

إنّ تفاقم هذه النزاعات بين الدول العظمى التي سيطرت على ساحة العلاقات الدولية في مرحلة التحالف كان بمثابة طريق معبد لاندلاع حرب عالمية بالنظر لاختلاف في المصالح والأهداف ما بين هذه الدول، خلافا لما روج له بأنّ

اغتيال ولي عهد النمسا الأرشيدوق " فرانتز فرديناند في 28 جويلية 1914 في سراييفو على يد مواطن من البوسنة كان هو السبب الحقيقي في اندلاع الحرب العالمية الأولى(السبب المباشر). لكن النمسا انتهزت فرصة حادث الاغتيال لإعلان الحرب ضد صربيا في 28 جويلية 1914 وسرعان ما انتشرت الحرب المحلية حتى شملت القارة الأوروبية ثمّ العالم كله نظرا لأنّ الحكومات والشعوب كانت معبأة لفكرة الحرب، فقد أعلنت روسيا عدم تخليها عن صربيا وطبقت التعبئة العامة في قواتها المسلحة ضد النمسا ومن جهتها أعلنت ألمانيا الحرب ضد روسيا تنفيذا لمعاهدة التحالف الألماني النمساوي. أمّا إعلان ألمانيا الحرب على فرنسا فقد كان نتيجة لعزم فرنسا على مساندة حليفتها روسيا.